

# حرية التفكير والتعبير أساس لأداء أكاديمي نوعي ونَهضة مجتمعية رائدة ( رؤية قرآنية )

سعيد عمر بن دحاج \*

## المخلص

يهدف هذا البحث إلى:

- 1- التأكيد على أهمية حرية التفكير والتعبير لتطوير العلوم الإنسانية ومناهجها البحثية.
  - 2- إبراز الرؤية القرآنية ومقاصديها لتقرير حرية التفكير والتعبير.
  - 3- إبراز عناصر التنمية البشرية في المنظور القرآني، وتقرير القرآن الكريم لحرية التفكير والتعبير لإحداث تنمية بشرية شاملة.
- كما يسعى هذا البحث لتقديم رؤية قرآنية ملهمة تصلح أساساً لتعريف التنمية ومضامينها ومدلولاتها وفق التعبير القرآني إضافة إلى تقرير ضرورة توفير ، وتفعيل ديناميكية التفكير ، وضمان حرية التعبير من منظور قرآني باعتباره شرطاً لا بد منه للتنمية الحقيقية ومستدامة ، وقد جاء في مقدمة وتمهيد ومبحثين:
- المبحث الأول: ديمقراطية التعليم والتعلم شرط لفاعلية العلوم الإنسانية وتطويرها.
- المبحث الثاني: ضرورة حرية التفكير والتعبير للتنمية المجتمعية.
- وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج من بينها:

- 1- أن حق الحرية من أهم حقوق الإنسان، وتعاليم الإسلام تكلف المنتمين إليه بقيادة أنفسهم وبقية الآخرين إلى واحة الحرية والكرامة والعزة قال الله- عز وجل: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران: 110].
- 2- تعد حرية التفكير والتعبير ضرورة لا بد من الأخذ بها واستحضارها عند توصيف أهداف ومضامين مقررات العلوم الإنسانية وصياغتها وعند التخطيط المدروس لتقديمها للدارسين.
- 3- تؤسس الرؤية القرآنية وتؤكد على أهمية قيمة حرية التفكير والتعبير وضرورتها لإحداث نهضة مجتمعية ونقلة تنموية واسعة شاملة.

## المقدمة :

الحياة السوية التي تؤكد وتقرر كرامة الإنسان، قال الله - عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [سورة الإسراء: 70] ، وكيف لا يكرمه الله - عز وجل- وحياته نفخة من روح الله؟! قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [سورة الحجر: 29] ، وبمقتضى هذه النفخة صار مستخلفاً من لدن الله في الأرض ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [سورة البقرة: 30] ، وكان من مقتضى ذلك أن سخر الله له - تكريماً - جميع ما في

الحمد لله القائل: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [سورة العلق : 1- 5] ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى وأصحابه ومن تبعه بإحسان وهدى وبصيرة إلى يوم الدين.

وبعد :

فإن من أهم القيم الحياتية المستقرة وأبرزها في العقل الجمعي للأمة والمنبثقة من تراثها والمغروس في عمق كيانه حرية التفكير والتعبير واعتبارها من ثوابت

\* أستاذ مشارك قسم التفسير وعلوم القرآن - كلية التربية - جامعة سيئون.

وطلاباً يتأهلون في تخصصات متنوعة ينبغي أن يتوافقوا - رغم هذا التنوع - على قدر من القيم الحياتية المؤسسة لمجتمع مؤمن بالتعايش والتنوع الفكري. إن الحديث عن حرية التفكير والتعبير وضرورته في دراسة العلوم الإنسانية هو حديث عن ديمقراطية التعليم والتعلم، والذي يعد أول مطلب وأهم شرط لكي تحقق العملية الأكاديمية أهدافها.

وبغية تقرير حقيقة وأهمية تعزيز قيمة حرية التفكير والتعبير في عمل المؤسسات الأكاديمية - عموماً - وشعبها وتخصصاتها الإنسانية - خصوصاً - وأهمية ذلك في إحداث نهضة مجتمعية رائدة وتنمية بشرية نضع هذه الورقة البحثية التي حملت عنوان:

**حرية التفكير والتعبير أساس لأداء أكاديمي نوعي ونهضة مجتمعية رائدة (رؤية قرآنية)**

**أهداف البحث:**

- 1- التأكيد على أهمية حرية التفكير والتعبير لتطوير العلوم الإنسانية ومناهجها البحثية.
- 2- إبراز الرؤية القرآنية ومقاصديتها لتقرير حرية التفكير والتعبير.
- 3- إبراز عناصر التنمية البشرية في المنظور القرآني، وتقرير القرآن الكريم لحرية التفكير والتعبير لإحداث تنمية بشرية شاملة.

وقد جاءت في مقدمة ومبحثين وخاتمة كالاتي:

**المبحث الأول - ديمقراطية التعليم والتعلم شرط لفاعلية العلوم الإنسانية وتطويرها:**

المطلب الأول - تغييب شعب العلوم الإنسانية عن قيامها بدورها في محيطها المجتمعي.

المطلب الثاني - ضرورة عودة المنابر الفكرية والتعليمية إلى موقع التأثير والريادة المجتمعية.

المطلب الثالث - تطوير العلوم الإنسانية ومناهجها البحثية أساس لنهضة مجتمعية شاملة.

السموات والأرض ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ [ سورة الجاثية: 13 ] وإذا كان نظام التعليم لا بد أن يكون أداة فاعلة في إحداث التغيير الاجتماعي المتكامل بإعادة صياغة الشخصية الإنسانية السوية الكريمة، إذا كان الأمر كذلك فإن هذا النظام التعليمي لن يكون قادرًا على الاضطلاع بذاك الدور وتبني هذه المهمة إلا إذا لحقه هو نفسه التغيير والتطوير والتجديد، وهذا التجديد والتطوير المنشود لم يكن ليتحقق إلا في ظل إحياء وتبني وإشاعة حرية التفكير والتعبير ، التي هي من أبرز تجليات كرامة الإنسان بمقتضى تكريم الله إياه.

إن أخوف ما يخاف على مجتمع ما ويعرضه لكل خطر ويجعله فريسة سهلة لعدوه هو فقدان الوعي أو ضعفه وعدم تقديره للفكر وحرية قدرهما.

وعندما نأتي إلى الحديث عن العلوم الإنسانية ودورها في تطوير الأداء الحياتي والتنموي للمجتمعات ونهضتها، فإن هذا يضطرنا حتمًا للوقوف أمام أهم الضمانات الكفيلة لتحقيق العلوم الإنسانية ما يؤمل ويرجى منها، ويأتي على رأس تلك الضمانات ضمانات حرية التفكير والتعبير لمنتسبي المؤسسات الأكاديمية بمختلف شعب علومها وإن كانت الأولوية والمقصود هنا بالذات شعب العلوم الإنسانية.

تأتي أهمية طرح هذه القضية في هذه الفترة الحرجة التي تمر بها مجتمعاتنا التي تعاني ويلات الاحتراب الداخلي ، الذي يستنزف قواها ومقدراتها، ونعتقد أن من معالم معالجة هذا الوضع المتأزم والمحتمل التأكيد على مبادئ الحرية والقبول بالآخر ، والتأسيس لمجتمع متعايش متسامح متقبل لبعضه البعض، وإن أول من ينبغي أن يتبنى هذا التوجه بل ويسهم في تعزيزه واقعًا مجتمعياً هم نخبته المتمثلة في منتسبي المؤسسات الأكاديمية سواء كانوا أساتذة ومفكرين أو باحثين

المطلب الرابع- آية قرآنية واحدة ترسم عناصر البحث الحر وتدعو للتفكير النقدي.

**المبحث الثاني- ضرورة حرية التفكير والتعبير للتنمية المجتمعية:**

المطلب الأول- الحرية أساس لا بد منه في الاعتقاد والإيمان وشرط للتنمية والعمران.

المطلب الثاني- التنمية ومضامينها المصطلحية ومدلولاتها القرآنية.

المطلب الثالث- حرية التفكير وتقبل الآخر أساس لتنمية مجتمعية في المنظور القرآني.

المطلب الرابع- عناصر التنمية في القرآن الكريم.

**الخاتمة: وتضمنت أهم نتائج البحث والتوصيات.**

**المبحث الأول:**

**ديمقراطية التعليم والتعلم شرط لفاعلية العلوم الإنسانية وتطورها:**

إن العلوم الإنسانية هي الحارس الذي يجب أن يبقى متيقظا في ظل دوامات ودورات متوالية متسارعة من التغير المطرد لصالح العلوم التجريبية، ونحن لا نخرج على أي تقدم وتطور يحدث - وهو حادث شئنا أم أبينا - في أي شعبة من شعب العلوم، ولكن لا بد أن يتوازى التطور وتحسن الأداء في المساقين التجريبي التطبيقي والإنساني الاجتماعي؛ إذ الاكتفاء بتطوير أداء العلوم المادية التطبيقية ومنتجاتها ومخرجاتها<sup>(1)</sup> من شأنه أن يخلف أعظم الخلل في توازن الحياة.

لقد أدرك المفكرون في العالم الغربي خطورة هذا التفاوت المهيول والفجوة المستمرة في الاتساع بين معطيات ومنتجات ومخرجات العلوم التجريبية ومستوى الركود والتعثر المقيد لحركة العلوم الإنسانية وتطويرها وتفعيلها في البناء الحضاري المتوازن المتناغم، يقول ألبرت أشفستر: ( نحن نعيش اليوم في ظل انهيار الحضارة وهذا الوضع ليس نتيجة

الحرب إنما الحرب مجرد مظهر من مظاهره ولقد تجمد الجو الروحي في وقائع فعلية ينعكس أثرها عليه انعكاسا له نتائج مدمرة في كل ناحية .. لقد انحرفنا عن مجرى الحضارة لأننا لم نقم بالتفكير الجدي في معنى الحضارة<sup>(2)</sup>. وبالنسبة لحال المجتمع المسلم المعاصر يتساءل أحدهم قائلاً: ( إذا كان الإسلام هو سبب تقدم المسلمين وازدهارهم الثقافي.. فما سبب التخلف الذي أصاب المسلمين؟ ) ، ثم يجيب على نفسه قائلاً: (إن السبب هو غيبة الروح (روح الدين الإسلامي) عن الحضارة (الحضارة الإسلامية) هو انقطاع الاتصال بين الإسلام وحضارة المسلمين)<sup>(3)</sup>، وإن بالإمكان القول إن (الإنسان اليوم في خطر ليس فقط من جراء فقدانه لحيثيته وافتقاره لقوة التركيز الذهني وإلى فرصة للتطور الشامل بل هو أيضا في خطر أن يفقد إنسانيته)<sup>(4)</sup>.

### المطلب الأول

**تغيب شعب العلوم الإنسانية عن قيامها بدورها في محيطها المجتمعي:**

تثار بين حين وآخر بعض القضايا المجتمعية المتعلقة بمناخ حياتية متنوعة ، وتشارك في كثير من الأحيان كل ألوان الطيف المجتمعي في تناولها والتعاطي حولها ، فإذا ما بدأ طرحها وطرقها في أوساط الأكاديميين في نطاقات واسعة أو ضيقة إذا بأصوات ترتفع قائلة بأنه يجب التوقف عن تعاطي مثل هذه القضايا ومناقشتها ؛ لأنها لا علاقة لها بالعمل الأكاديمي ، أو أنها خارج نطاق العملية التعليمية للجامعة ورسالتها، ونحن نرى منتسبي الحقل الأكاديمي بهذا المنحى قد قيدوا حركتهم وعطلوا قدراتهم الذهنية وأهملوا إمكاناتهم التخصصية التي يعول عليها تشخيص محيطهم وتوصيفه بما يسهم بعد ذلك في مشاركتهم بتقديم العلاجات والمخارج لأزماته ومعضلاته.

في رسم المستقبل والخيارات والاستراتيجيات السياسية للبلد؟ كيف لا تفعل وهي تضم في أروقتها وفي هيئاتها التدريسية الكوادر المؤهلة في العلوم السياسية؟ ولماذا لا يشرك في مطارحات كهذه طلاب الجامعة عموماً وطلاب أقسام العلوم السياسية على وجه الخصوص ، فنجمع بين تقريرات وتأصيلات أهل الاختصاص من أساتذة الجامعة و طموحات ورؤى

جيل الغد الحالم بمستقبل سياسي مستقر وآمن؟

ونفس ما قيل في الشأن السياسي للمجتمع يقال في الشأن الاقتصادي والأداء الإعلامي والثقافي لمؤسساته والظواهر الاجتماعية السلبية التي تتعاظم وتكبر كما تكبر كرات الجليد المتدرجة .

وإن من أهم ما يؤثر سلبيًا على فاعلية دور المؤسسات الأكاديمية ومنتسبيها في قضايا مجتمعية كهذه دراسة وبحثًا وإسهامًا في الحل أو التطوير هو ما صبغت به الحياة الجامعية وقيد به حراكها العلمي والفكري من قيود إضافة إلى عدم أو ضعف تبني سياسية المثاقفة والمطارحة والمراجعة بين منتسبيها<sup>(5)</sup>، وربما صح أن يقال: إن المعلم اليوم في كثير من البلاد أقل حرية وانطلاقًا بكثير مما كان عليه المعلم في الماضي ونتيجة لكل هذه التقييدات أصبح تعليمه الآن عديم الحيوية خالياً من الشخصية<sup>(6)</sup>.

إن في تفعيل ديمقراطية التعليم والتعلم الأكاديمي تأكيداً على كرامة الأستاذ والطالب واعترافاً ضمناً بمقدرتهما على التناول المسؤول والتعاطي العقلاني والمنطقي مع القضايا موضع النقاش والمحاور ، كما أن فيها تعزيزاً للروح الوطنية وروح الانتماء البناءة التي تدفع بالجميع لتقديم أفضل ما عنده ليسهم في تطوير وتحسين الواقع الحياتي وإحداث نقلة تنموية وأعادة.

وإن من ينتظر إبداعاً ونهضة وتطوراً لمجتمع في ظل سيادة وأد الحريات وتضييق آفاق الحوار وتقييد حركة

إن ما شهدته حياة المجتمعات في الفترات المتأخرة من قفزات نوعية في عالم التواصل التقني قد أتاح لكل أحد أن يطالع كل فكرة أو أطروحة تصدر من هنا أو هناك، وإن استمرار هذا الزخم والضخ لثقافات وأفكار بين يدي المتصفح سيسهم في إحداث تغييرات جوهرية في هوية الفرد والمجتمع والثقافة المجتمعية، بل قد أسهم، وهذا التغييرات قد تكون إيجابية أو سلبية، وإن تعامي وتغافل المؤسسات المعول عليها تعزيز هوية الأمة وخصوصيتها الثقافية - ومنها الجامعات ومؤسسات التعليم الأكاديمي - سيجعل المجتمع وأفراده ضحية للتأثر السلبي المدروس من جهات تمارس دور الاستلاب الحضاري للأمة وتكريس الضعف والواقع المأزوم.

في كثير من الجامعات والملتقيات المجتمعية أو في قاعات درس العلوم الإنسانية ، أو من منتديات التواصل الاجتماعي الذي يضم أساتذة الجامعة عموماً أو أساتذة قسم أو مجال ما نجد تحفظاً غير مبرر عن طرق كثير من القضايا والموضوعات والهموم: سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية .. وغيرها، وإننا نتساءل: ما هي القضية التي لا يمكن لأساتذة الجامعة أن يتدارسوها ويتطرحوا وجهات النظر حولها ، ويقدموا الأبحاث العميقة المتخصصة الموضوعية حولها؟ إن لنا أن نقول وبكل شفافية بأنه لا توجد خطوط حمراء أمام البحث العلمي والتعاطي والحوار بين أساتذة الجامعة وطلابها وجميع منتسبيها، ما دام أنها لا تمس ثوابت المعتقد والمجمع عليه سلفاً.

إن الجامعة ينبغي أن تنهض بهذا العبء ، وتتبنى هذه الوجهة واقعاً وممارسة، فلقد صارت السياسة - على سبيل المثال - علماً بل علوماً تدرس نظرياتها في جميع أقطار الدنيا ، فلماذا لا تتبنى الجامعة إقامة المؤتمرات ، وإجراء الأبحاث والدراسات ، والإسهام

ركب الحضارة ، واستشراء الصراعات البينية والأهلية ، وتبعية مفرطة للآخر وذوبان فيه ، وكثير من ذلك مرده - أساساً - لاختلال ثقافي ، واضطراب في التكوين الفكري في العقل الجمعي.

ولعل من قيود حرية التفكير والتعبير الطبيعة الشخصية للفرد ؛ حيث يتفاوت الأفراد في الفروق الفردية واستعداداتهم الشخصية لتقبل الحوار ووجهات النظر وبالتالي إغدار الآخر وتقبله، ويضاف لذلك طبيعة المجتمع الذي يفقد ممارسة التفكير الناقد بما ينعكس سلبيًا على تنميط العقل وتجميد فعله النقدي.

وإن من علل مجتمعاتنا التفكير الأحادي ؛ حيث يتبنى الكثير الحزب الواحد ، والصوت الواحد ، والمزاج الواحد ، والاتجاه الواحد ويريدون قولية كل شيء، وإدخال الجميع تحت سقف التيار الواحد.

إن مجتمعاتنا تعاني - للأسف - من تغول الأطراف والمكونات المجتمعية: سياسية وفئوية .. الخ بعضها على بعض ؛ حيث يمارس المجتمع ضد بعضه سلوك مصادرة حق الآخر في التعبير عن رأيه، ومعرفته ومعرفة ما عنده، رغم أن معرفة من هذا القبيل هي مما حث عليه كتاب الله- عز وجل- حينما يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [ سورة الحجرات:13 ]، ومن إفرازات هذا التغول المشار إليه أنفا شيوع ظواهر الغلو والتطرف الديني والسياسي والاجتماعي، وهذه مشكلة كبيرة ، وداء دوي ، لكن المشكلة تعظم حينما تتسرب هذه الخصال والسمات في الوسط الأكاديمي ، وتصبغه بصبغتها ، فيضيق الكادر الأكاديمي الذي يفترض فيه التجرد والموضوعية ، والتحلي بتقبل وتفهم الطرح المغاير لطرحه - يضيق هذا الكادر الأكاديمي بالآخر وفكره ورؤيته وطرحه ، وبدلاً من أن يكون الأستاذ الجامعي

الانفتاح على الآخر وتفهم ما عنده إن من يصنع ذلك إنما حاله كمن يريد إشعال شعلة أو عود ثقاب في ظل انعدام الأوكسجين .. فلا بد أن نصل بالحرية وديمقراطية التعلم والتعليم إلى مستوى الضروريات التي لا يُستغنى عنها بحيث يتنفسها الجميع بشكل دائم وطبيعي حتى تستمر الحياة ويستمر الإبداع والتطوير<sup>(7)</sup>.

### المطلب الثاني:

### ضرورة عودة المنابر الفكرية والتعليمية إلى موقع التأثير والريادة المجتمعية:

إن مما ينبغي مراعاته في الأنظمة الفكرية للأمة ومؤسساتها الثقافية والتعليمية والأكاديمية أن تعود إلى موقعها للتأثير في تيار الحياة، وألا تنزوي على نفسها؛ إذ المعول عليها في تعزيز قيم النهوض وصناعة الحياة وبناء المجتمعات بناءً متوازناً متكاملاً ، وأن تسهم إسهاماً فاعلاً في تطور شعوبها ورفيها. من الأدوار التي يتوجب على الجامعة القيام بها وإدراجها في خططها الاستراتيجية والقريبة المدى خدمة المجتمع المحيط ، وتقديم العلاجات والمخارج لتجاوز الإشكالات المجتمعية في مختلف الجوانب الحياتية ، وتقديم الدراسات المتخصصة للإسهام في تطوير المجتمع وتحسين أداء مؤسساته وأفراده .

وإن من القيم المجتمعية التي يتوجب غرسها وتعزيزها في جميع منتسبي أي صرح جامعي الديمقراطية وشفافية التعاطي مع القضايا ، وبما أن الجامعة تعد الطلاب المتخرجين فيها لأدوار حياتية مستقبلية متنوعة ، وتؤهلهم ليكونوا قيادات مجتمعية يعول عليها ويؤمل فيها النهوض بالأوطان والدفع بعجلة حياة الشعوب نحو الرخاء والرفاه والنقدم ، بما أن الأمر كذلك فإن ذلك لا يتأتى إلا بوضع الرؤى وصياغة الخطط الكفيلة بذلك<sup>(8)</sup>.

إن كثيراً من مراحل تاريخ مجتمعاتنا تحكي تخلفاً عن

ولا يعرف العالم المتمدن عنها إلا قليلاً ... وكانت بين نصرانية وليدة، ووثنية شائبة، ولم تكن بذات رسالة في الدين، ولا بذات راية في السياسة<sup>(11)</sup>.

لقد كان موقف الكنيسة في أوروبا حينها عنيفاً وقاسياً ضد حرية الفكر ومحاربة العلماء والمفكرين ، وأنشأت لذلك محاكم خاصة ، سميت بمحاكم التفتيش ؛ لمعاقبة المارقين والملحدين - في زعمها - ، ويقدر أن من عاقبت هذه المحاكم يبلغ عددهم ثلاثمائة ألف، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفاً أحياء ، كان منهم العالم الطبيعي المعروف برونو، نقتل منه الكنيسة آراء ، من أشدها قوله بتعدد العوالم، وحكمت عليه بالقتل، واقترحت بأن لا تراق قطرة من دمه، وكان ذلك يعني أن يحرق حيّاً، وكذلك كان، وهكذا عوقب العالم الطبيعي الشهير غاليليو (Galilio) بالقتل ؛ لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس.

لقد كانت المناداة بالتححرر من أغلال الكنيسة وتحجيرها على الفكر أول خطوة وأساساً لابد منه لحدوث الثورة الصناعية والتقنية بعد ، فقد كانت الكنيسة تمارس دوراً مقيتاً في الحد من حرية التفكير والبحث والاكتشاف ، وتضفي على صنيعها ذاك هالة القداسة والدين ، وأن من يخالف مسلكها إنما يمرق من الدين ويستجلب غضب الإله ، وكان لا بد للخروج من عنق الزجاجة تلك من رواد يبشرون بعهد جديد ويوصلون لمناهج في الفكر والبحث جديدة ورائدة ، وإنما تحقق ذلك ومهد له باقتباس مفكري أوروبا ورجال العلم فيها واستلهمهم لروح الإسلام وروية القرآن وحثه على حرية الفكر والانطلاق في ميادين العلم الفسيح والانعقاد من ريقه القهر القاتل للإبداع والتطوير ( ويمكن لمن يطالع تاريخ أوروبا الديني وتاريخ الكنيسة النصرانية أن يلتمس تأثير الإسلام العقلي في نزعات المصلحين والثائرين على

رائداً من رواد حرية التفكير والتعبير ، ومبشراً بقيم الحرية والمساواة والإخاء الإنساني والمواطنة المتساوية إذا به يصير رهيناً لأدواء المجتمع واعوجاجه ، وبدلاً من أن يكون جزءاً من الحل والمعالجة يصبح ركناً في المشكلة ، وسبباً للداء العضال.

من المعلوم أن الجامعة أرقى صرح تعليمي وأعلى قمة في هرم التعليم وسلّمه ، فيها تبنى العقول وتتفصل المواهب وتنمي القدرات ، وتحقيق مثل هذه الغايات لن يكون إلا في أجواء صحية ، تشجع التفكير والابتكار والتجديد في مختلف المجالات العلمية (الإنسانية والتطبيقية) ، أجواء تتقبل الخلاف وتديره لتحقيق رسالة ورؤية الجامعة<sup>(9)</sup>.

### المطلب الثالث:

**تطوير العلوم الإنسانية ومناهجها البحثية أساس لنهضة مجتمعية شاملة:**

إن التاريخ يخبرنا أن الحضارات إنما تصنع أولاً في محيط الفكر الصحيح .. الفكر الذي يحفز ويدفع للاكتشاف والتطوير والتحسين من الأداء الحياتي وخدمة الإنسان ، وتوفير ما يمكن تقديمه من خيارات وبدائل حياتية ، تضفي على حياة الأفراد رخاء ورغداً من كريم العيش.

إن النهضة الصناعية والتكنولوجية لدى الغرب إنما كانت نتاجاً طبيعياً لنقلة نوعية هائلة على مستوى الفكر ، والتخلص من قيوده التي فرضتها الكنيسة في القرون السابقة لعصر النهضة ، وأصبحت المسيحية بزيادات المحرفين، وتأويل الجاهلين، تحول بين الإنسان والعلم والفكر<sup>(10)</sup> .. وكانت الأمم الأوروبية المتوغلة في الشمال والغرب تتسكع في ظلام الجهل المطبق، والأمية الفاشية، والحروب الدامية، لم ينبثق فيها فجر الحضارة ... وكانت بمعزل عن جادة قافلة الحضارة الإنسانية بعيدة عنها، لا تعرف عن العالم

النظام الأسقي السائد، أما دعوة "لوتر" الإصلاحية الكبيرة، فقد كانت - على علاتها- أبرز مظهر للتأثر بالإسلام وبعض عقائده كما اعترف المؤرخون<sup>(12)</sup>.

وينقل الندوي عن (Robert Briffault) في كتابه (The Making of Humanity) قوله: ( ما من ناحية من نواحي تقدم أوربا إلا وللحضارة الإسلامية فيها فضل كبير وأثار حاسمة لها تأثير كبير)<sup>(13)</sup>. ويقول في موضع آخر: ( لم تكن العلوم الطبيعية (التي يرجع فيها الفضل إلى العرب) هي التي أعادت أوربا إلى الحياة ولكن الحضارة الإسلامية قد أثرت في حياة أوربا تأثيرات كبيرة ومتنوعة منذ أرسلت أشعتها الأولى إلى أوربا)<sup>(14)</sup>.

وحيثما نأتي لحال مناهجنا ونظمنا التعليمية في هذه المرحلة لما يندى له الجبين ويعتصر له الفؤاد، فبرغم كثرة المؤسسات التعليمية وانتشارها فإننا لا نلاحظ ذلك الأثر المأمول والأهداف المرجوة من ورائها حتى نكاد نقول بأن ( هذه الحالة الثقافية والوسائل والطرائق والمناهج التعليمية والتربوية طالما أنها لم تستطع أن تحل المعادلة الصعبة وتعالج العلل وتغير الحالة الثقافية التي عليها الأمة وتغير ما بالأنفس فهي حالة فاشلة ومؤسسات فاشلة أو على الأقل عاطلة عن العمل والفاعلية ولا نقول: عبثاً على أهلها ، بل لعلنا نقول: إنها قد تساهم مساهمة سلبية في بعثرة الأمة وضياع جهودها واستنزاف فاعليته بغير جدوى)<sup>(15)</sup>.

#### رفع القرآن من شأن العلم وحثه على التفكير وإعمال العقل:

إذا كان قد تقرر آنفاً ما كان للكنيسة في أوروبا من تضيق على حرية التفكير والبحث فإن الحال بالنسبة للإسلام يختلف تماماً، فقد رفع القرآن من شأن العلم باعتباره أساساً لفهم العلاقة السليمة بين الله والكون والإنسان.

لقد حث القرآن على التدبر والتعقل وأكثر من الحض على العلم في آياته، فقد وردت مادة (ع ق ل) في القرآن الكريم 44 مرة ، ووردت كلمة (تذكر) 33 مرة ، و(عمل) 93 مرة ، و(فقه) 9 مرات ، و(علم) 120 مرة ، وفي هذا دلالة واضحة وأكيدة على ضرورة التجديد والتطوير في العطاءات العلمية بشعبها المختلفة ، فالقرآن يريد أمة متحركة عاملة عالمة .

والقرآن الكريم لا يكاد يدع موطئاً في الكون دون أن يطوف بالإنسان خلاله، ويستثير فيه النظرة المتأمل المتقصية، ويلفت أصحاب العقول الراجحة، وذوي القلوب المؤمنة، إلى المنهج الصحيح في التعامل مع الكون واستقراء لغته وإشاراته، باعتباره كتاب معرفة للإنسان المؤمن الموصول بالله وبما تدعه يد الله، وقراءة الآيات المنبثة في جنبات الكون وظواهره تتم بالاستخدام الأمثل لمملكات الإدراك والعلم التي وهبها الله للإنسان لتلمس الحقائق الكونية بالاختبار والرصد والتجريب والقياس والاستدلال، مستعيناً في ذلك بحواسه، والعقل من الحواس، أو ما يعززها ويعمقها من أجهزة وأدوات، تبدأ منها وتعود إليها.

وقد أشار القرآن إلى حواس الإنسان ومملكاته المعرفية في أماكن متفرقة، فذكر ( الذوق ) في قوله - عز وجل ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾ [ سورة الأعراف: 22 ].

وأشار إلى اللمس في قوله- عز وجل-: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ نَفْسٍ مِّن دُونِكَ لَمَسَ السَّامِعُونَ أَنَّهُ يَنصِتُ لَكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [ سورة الأنعام: 7 ].

وأشار إلى حاسة الشم في قوله - عز وجل- : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَ الْعَيْسَىٰ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أُنِذِرُوكُمْ ﴾ [ سورة يوسف: 94 ].

وذكر السمع والبصر والفؤاد في مثل قوله - عز وجل- : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَهُوَ يُعْلَمُ سَعِيدٌ الْمَعْرُوفُ ﴾ [ سورة البقرة: 234 ].

ثم انتهت إلى حقيقة تسالم الرأي العام في مكة على رفضهم دعوة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - لهم واتهامه بالإفك والسحر والجنون .  
فالآية جاءت في سياق جو رفض جماعي لحقائق موضوعية وإيمانية في غاية الأهمية، فما الذي يحولهم من حالة الإعراض والرفض إلى حالة الإقبال والاستماع والدراسة والبحث وممارسة النقدية<sup>(17)</sup> البناء المسؤولة؟<sup>(18)</sup> إنها مشكلة بحاجة إلى منهج علمي تتربى عليه المجتمعات وتعتاده، وفي تأصيل هذا المنهج قرآنياً لابد من الوقوف مع مفردات الآية وسياقها لترسم لنا منهجاً وافياً بالعناصر الستة الآتية:

#### أولاً- التحفيز لبحث المشكلة:

واضح من خلال سياق آيات سورة سبأ التي سبقت هذه الآية « قُلْ إِنَّمَا أُعْطِكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ » [سورة سبأ:46] أن طبيعة الرأي العام يخول للأفراد السكوت والابتعاد عن قضايا ملحة في أهميتها ويبرر لهم عدم الخوض والتأمل فيها ما داموا يعتقدون بما يقابل هذه القضايا، بل يرون عبثية هذه القضايا الجديدة الطارئة على ثقافة المجتمع<sup>(19)</sup> ، لهذا فإن آية موضوعنا قد سبقها هذا التمهيد الضروري ليكون هذا السرد التاريخي من مثل قوم سبأ وما آلو إليه حافزاً ودافعاً لنقل حالة اللامبالاة إلى حالة الشعور والوعي بالمشكلة وحجمها ودورها وآثارها، و إلى بث طاقة من الشعور الجيَّاش والتفاعل الحار لممارسة التفكير البحث بكل قوة وإصرار وعزم وما يتبعه من جهر وتعبير عن القناعات الصحيحة الجديدة.

وقد تعاضدت آية الموعظة مع الآيات الممهدة في السورة لتؤدي الدور التحفيزي في قوله - عز وجل - : « قُلْ إِنَّمَا أُعْطِكُمْ بِوَاحِدَةٍ » وهو مدخل نفسي يعين الفرد المثقل بسلطة الرأي العام ويشجعه للبحث

تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » [سورة النحل: 78] ، وقوله - تعالى « أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » [سورة الحج: 46] ، وقوله : « كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » [سورة الروم : 59] ، وقوله : « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا » [سورة محمد:24].

وقد اشتمل القرآن الكريم على (6236) آية ، منها (750) آية كونية وعلمية ، احتوت أصولاً وحقائق تتعلق بعلم الفلك والطبيعة وما وراء الطبيعة والأحياء والنبات والحيوان وطبقات الأرض والأجنة والوراثة والصحة والصحة الوقائية والتعدين والصناعة والتجارة والمال والاقتصاد<sup>(16)</sup> . وقد فطن علماء المسلمين الأوائل إلى حقيقة الدعوة القرآنية إلى القراءة والعلم وإمعان النظر والفكر في ملكوت السماوات والأرض سعياً إلى الهداية واليقين.

#### المطلب الرابع:

آية قرآنية واحدة ترسم عناصر البحث الحر وتدعو للفكر النقدي:

قال الله - عز وجل - : « قُلْ إِنَّمَا أُعْطِكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ » [سورة سبأ:46].

هذه الآية إحدى آيات سورة سبأ ، وقد جاءت بعد أن تحدثت آيات السورة في المقطع الأول منها عن المشركين في اعتراضهم ونكرانهم لحقيقة البعث، أما المقطع الثاني من السورة فقد تحدث عن النعم والإمكانات التي أسبغها الله سبحانه على سليمان وداود عليهما السلام، وبعدها تناولت السورة تهدم سدّ مأرب بسبب كفر أهلها بالنعمة وإعراضهم عن الشكر



يتخذ موقف التكذيب وما يتطلبه أمام الفكرة الجديدة مادام قد حسب أن الفكرة الجديدة ما طرحت إلا لأجل نفس عقيدته ومقدساته التي عاش من أجلها.

#### صياغة المشكلة:

ما ذكرناه هو أساس المشكلة وتبلورها بين أفراد المجتمع حيث لم تعد خافية على أحد منهم، إلا أن آية الموعظة حددت اتهامًا محددًا وإن جاء من حيث الترتيب اللفظي لنص الآية في نهايتها تقريبًا « مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ » ويجدر أن نصوغ المشكلة هكذا بصيغة أسئلة :

- 1- ما هو الجنون الذي اتسم به النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - حسب الدعوى والزعيم؟
- 2- وهل يمكن لكل فرد أن يثبت دعواه لو انفصل في تفكيره عن إشاعة المجتمع وتأثيراته؟
- 3- وهل بإمكان الفرد أن يعبر عن فكرته وبما وصل إليه بحثه وإن خالف الرأي العام؟

#### ثالثاً- الباحث لبحث المشكلة:

هذا العنصر أساس لبحث المشكلة أولاً ، وللحل وممارسته ثانياً، وبدونه لا يقصد من البحث إلا البحث لذات البحث، وما يتكفل بهذا العنصر من الآية القرآنية هو « أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ » فما علاقة هذا المقطع من الآية بالباحث لبحث المشكلة ؟

إن كثيراً من الأبحاث والدراسات تتوفر على الجِدِّ والطموح والتميز، لكن هل أغلب البحوث تنسم بقيمة الإخلاص؟ إن ( آية الموعظة ) تربط صدق النتيجة وموضوعيتها وحتمية الوصول إلى الحق بالبحث من أجل الله وفوق هذا كله قدرة الباحث على التجرد والخروج عن هيمنة الجمهور مرهون بهذه القيمة « أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ » لأن عوائق البحث كثيرة بعضها مرئي وبارادة والبعض غير ذلك ، فأى قيمة للبحث إذا لم يتجرد الباحث؟ فالباحث الموضوعي هو من يضع

والنظر، فما دام الخطاب في الآية قد حدد موعظة واحدة فقط وعدل عن الجمع - فلم يكن الخطاب: إني أعظمكم بمواعظ أو بأربع وخمس - فقد سهل على السامع استماع هذه الموعظة المحددة<sup>(20)</sup>، وكم تضيق الجهود وتهدر الطاقات حينما تشتت لدراسة وتقصي عدة قضايا ومسائل في آن واحد وذلك لغياب البوصلة ومنهجية تركيز الجهد والطاقة البحثية والفكرية.

#### ثانياً- تحديد المشكلة وصياغتها:

قد يبدو لأول وهلة أن ( آية الموعظة ) لم تتعرض لتحديد المشكلة ، والتي اعتادت طرق البحث العلمي أن تبلوره، إلا أن علينا أن ننتبه إلى سياق الآية - كما أشرنا - فقد سبقتها اتهامات لشخص النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ودعوته بأنه :

- 1- يريد أن يبعد الأجيال المعاصرين عن عبادة الآباء.
- 2- وأن نبوته إفك واقتراء.
- 3- وأن دعوته قائمة على السحر.

وبالتالي فقد كذبوا محمداً - صلى الله عليه وسلم - كما كذب الأقوام رسلهم من قبل قال الله - عز وجل- : « وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ \* وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ \* وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ » [ سورة سبأ: 43 - 45 ]. هذه الاتهامات حيث تنتقل الفكرة ممن أخذ قراراً بالإعراض عن الدعوة وصاحبها إلى من لم يأخذ بعد، وهكذا تأمر القوم على صدّ الدعوة بعد أن أحشمهم كبارهم حيث قالوا : « وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ ».

وبعد هذا التحميش يكون من السهل على الفرد أن

الحقيقة نصب عينيه ويسعى جاهداً للبحث عنها، فإذا ما وفق للعثور عليها كان عليه إعلانها، اتفقت مع ميوله أم لم تتفق .

والآية تؤسس مبدأً عاليًا، وتوجه الباحث -أي باحث كان- نحو قناعة واحدة يقينية يصب كل جهوده من أجلها دون أن ينتظر منها تعويضًا سريعًا ولا مدحًا وتبجيلًا آنيين، بل بمقدار إخلاصه وتقانيه ونسيانه لذاته يكسب رضًى وتعويضًا أخرويًا، وفي هذه القيمة ( التوجه لله الواحد ) ، يتجرد الباحث وينأى عن المصالح المتعددة التي تذبذب الكاتب إرضاءً للذات والهوى أو خوفًا من العصا وتهافتًا على التقام الجزرة، فالتجرد هنا ليس خلقًا أصيلًا للباحث بل هو مبدأ ديني ومسلك مقدس يتلزمه ديانة.

إضافةً إلى أن الآية تشير إلى دعامة مهمة من دعائم البحث الناجح في قوله -تعالى-: ﴿ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ ﴾ ، هذا الفعل " تقوموا " المسبوق بأن المصدرية الدال على الاستقبال يعطي مدلولًا لغويًا لتجدد كل موقف من مواقف وحركة البحث، وكذلك ما يختزنه فعل القيام من مداليل تعطي قيمة عالية للبحث، فالقيام ضد القعود والخمول والكسل والتباطؤ والتوقف والتراجع والانسحاب والإلغاء، ومتى كان البحث متوفرًا على معاني القيام وبإخلاص لله تعالى فقد ارتفع على أمراض البحوث وتعداها.

#### رابعاً- صياغة الفرض العلمي:

ما دامت الآية مبنية على اختصار الموعظة إلى الحد الذي يحقق سماعها والاعتناء بها؛ فإنها قد اختصرت بعض مراحل البحث، وفي مثال المشكلة التي نحن بصدها فإن صياغة الفرض قد اندمج مع مرحلة اختبار صحة الفرض في قوله تعالى في نهاية (آية الموعظة) ﴿ ثُمَّ تَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ ، وبعض المفسرين يذكرون أن لفظة ﴿ مَا ﴾ في الآية

تحتمل أن تكون استفهامية أو نافية<sup>(21)</sup>، والذي يترجح أن تكون استفهامية في مرحلة صياغة الفرض العلمي، وتكون نافية في مرحلة اختبار صحة الفرض - الآتي بيانه في العنصر السادس - لأن الباحث يبدأ دراسته لا ليبرهن على شيء، فلا ينوي أن يثبت أمرًا أو ينوي نفي أمر ما، بل يبحث ليكتشف شيئًا؛ لهذا فالمفترض أن نصوغ الفرض بصيغة الاستفهام هكذا: ماذا من جنون في تصرفات النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وأقواله - إن كان ثمة جنون حسب الزعم - ؟!

#### خامساً- جمع المعلومات: ﴿ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفِرَادَى ﴾:

حتى وإن وجهت ( آية الموعظة ) الخطاب لكل إلا أنه من المسلم به عدم مبادرة الجميع لبحث المشكلة المطروحة والاعتناء بها، والآية تحدد طريقًا للبحث بأن يتوجه أي فرد متأثر بالموعظة ويملك قدرات البحث فيتملمس ويفرز من بين هؤلاء الجمع من يرى فيه تصميم الباحث بعيدًا عن النشاط في تناقل الإشاعات وترويجها، يجلسان سويًا ويتناقشان في القضية المطروحة بعيدًا عن آراء الجمهور وأحكامهم المسبقة، وهذا تأصيل قرآني لعمل القروبات والمجموعات البحثية التي تتطلبها بعض الأعمال والمشاريع البحثية في شعب العلوم المختلفة، وعادة ما إذا جلس اثنان مطمئنين لبعضهما فإن كل واحد منهما يطرح رأيه بكل حرية مما يعني إمكانية التجرد والوصول إلى الحق<sup>(22)</sup>، فلو أن كل اثنين تناولوا الموضوع بجدية وتناقشا فيه لتحقيق إلى جانب الميزة السابقة تغطية مساحة أوسع لأكبر عدد من الجمهور، بل تسنح الفرصة للجميع في تكوين رأي عن القضية المجتمعية كل حسب قناعته وبحثه، والآية يفهم منها أن يتحقق البحث الثنائي والبحث الأحادي حسب

المتوفر في قبال البحث الجماعي أو عدم البحث والمعنون في الخطاب وقتئذ لا يراد منهم سوى القيام عن الجمهور والتفكير والتفكير لاتخاذ القرار - بما يتناسب ومستواهم المعرفي- مستقلاً دون تأثر بالرأي العام وأحكامه ومسبقاته والتي تنتمي إلى منطق العوام، وهذه العملية تشكل عنصر « أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى » لكن الأرجح أن الآية في قولها « مِثْلَى » لا يقصد منها تحديداً دقيقاً لا يزيد عن اثنين إلى الثلاثة أو الأربعة ما دام يشكل هماً واحداً ومنهجاً علمياً متقارباً حتى وإن اختلفوا في وجهات النظر من أجل الوصول إلى الحق .

إلا أن التنظير لمنهج بحث علمي مستخلص من ( آية الموعظة ) يعطينا فهماً آخر يتسق مع منهجية البحث العلمي ملخصه جمع المعلومات من دراسات سابقة وفرضها بنسق معين إما بناء على القيمة والأهمية أو حسب الترتيب الزمني وتحليل هذه الدراسات إلى جانب دراسات الباحث نفسه والموازنة بينهما، وبعد جمع المعلومات والحقائق من وثائق الدراسات السابقة في البحث "يعمد الباحث مستقلاً ومتجرداً عن أحكام الدراسات السابقة وطرائق جمعها في ابتداع وسائله الخاصة به، فقد يلجأ للمصادر نفسها التي اعتمدت عليها الدراسات السابقة للتأكد من صحة النقل وسند المصدر ومدلول الحكم الذي تبنته الدراسات السابقة، وبالتالي يصدق على منهجه استقلال النظر والبحث كما حددته منهج الآية الشريفة " وفردى " .

سادساً- اختبار صحة الفرض: « ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ »:

الآية فصلت بين المراحل السابقة التي تم الحديث عنها وبين هذه المرحلة الأخيرة بحرف العطف « ثُمَّ » لترك للباحث فسحة زمنية بعد جمع المعلومات من المقابلات وغيرها وسماعه الأحكام المتسعة حتى

يخرج عن تقديس الشخصيات والهالات المهيمنة إلى ساحة التجرد والموضوعية، فيعتمد الباحث إلى تحليل المعلومات والمقارنة بينها، ففي مثل المشكلة المطروحة يحلل الباحث النقل الشائع في اتهام النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - بالجنون، فهل يستطيع أحد أن يبرهن على الجنون المزعوم في حياة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وهل الحكم الجماعي ( الرأي العام ) مستند على دليل يصمد عن الطعون؟ ولماذا يختلف حكم الرأي العام عن حكم الأفراد في حال تقسيمهم إلى وحدات صغيرة ( ثنائية ) حين تحتكم لمنهجية البحث؟ فإذا ما وصل الباحث إلى نتيجة وحكم يقيني حينئذ يبرهن على صحة فرضه الذي يناسب هنا في هذه المشكلة أن يدلل على الفرض الصفري ( وهو مصطلح علمي في البحث ) باعتبار أن " ما " يناسب كونها نافية هكذا: ( لا أثر لأي نسبة من الجنون في تصرفات النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وأقواله ) .

لكن لتأمل قليلاً في آية « ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا » فإن مصدره التَّفَكَّرَ، أما التفكير فالفعل له فَكَرَ، والتفكير هو بعض ما تكلمنا عنه في كلامنا عن عناصر البحث، أما التَّفَكَّرَ فهو عمل أرقى من التفكير حيث يتعلق بحقائق الإيمان والإحسان إلى جانب أنواع المعارف، فالفعل في أصل صياغته بهذا البناء الصرفي على وزن "النَّفَعْل" يقتضي المهلة والتدرج، إضافة إلى تتابع التَّفَكَّرَ الذي دلّت عليه تكرار الناء في فعل «تَتَفَكَّرُوا» .

وبعد :

فبالأمل في ما سبق نجد آية الموعظة ، وما تضمنته وأشارت إليه من مبادئ وأصول بحثية تكون قد أكدت على ضرورة إعمال الفكر ، وأن حرية التفكير ومن ثم التعبير عن القناعات والأفكار حق مشاع للجميع ، فالخطاب بصيغة الجمع يقرر ذلك ويؤكد حينما يقول

الله- عز وجل:- « قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شَاخٍ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ۖ » [سورة سبأ: 46].

لقد أفرزت هذه المنهجية البحثية القرآنية وهذا التأصيل والتقرير لحرية التفكير والتفكير وأنت ثمارها بصناعة حضارة ومدنية إسلامية لم يعرف لها التاريخ مثلاً و ( كان ظهور المدنية الإسلامية بروحها ومظاهرها وقيام الدولة الإسلامية بشكلها ونظامها في القرن الأول لهجرة محمد صلى الله عليه وسلم فصلاً جديداً في تاريخ الأديان والأخلاق، وظاهرة جديدة في عالم السياسة والاجتماع، انقلب به تيار المدنية، واتجهت به الدنيا اتجاهاً جديداً ) (23).

إننا عندما ننادي بضرورة تعزيز ديمقراطية التعليم الأكاديمي وحرية فضاءاته إنما نعود إلى الأخذ بخيار أخذ به أسلافنا إبان مراحل بناء حضارتنا العربية الإسلامية وتشبيدها .. ذلك الخيار الذي أثبت صلاحيته وفاعليته في إحداث نقلة كبيرة في حياة العرب خصوصاً والمسلمين عموماً ، فأحاله من مجاميع بشرية متخلفة عن ركب الحضارة متناحرة فيما بينها إلى بناء حضارة وحملة مشاعل الخير والحق والعدل للإنسانية جمعاء، بل كانت أساساً بعد ذلك لنهضة الغرب الحديثة بما تلقوه عن المسلمين في بيئاتهم العلمية من رموزهم وروادهم السابقين .

وبعبارة أخرى نستطيع التأكيد على أن تطلب الحلول لمعالجة هذه الوضعية غير السوية ينبغي أن يكون من الذات ومن المخزون الحضاري للأمة ذلك ( لأن العاجز عن تطوير (الذات) والنهوض وتوليد الحلول من داخلها لتخلفه هو أكثر عجزاً عن امتلاك القدرة على التطور والإفادة من الحلول من خلال (الآخر)؛ ذلك أن الذي يستطيع الاستفادة من الآخر هو الإنسان المتقدم الراقي الذي يمتلك المعيار الصحيح القادر

على التمييز بين ما يأخذ وما يدع، أما الذي يعاني التخلف والعجز وعمى الألوان فيأخذ كل شيء أو يدع كل شيء ويستمر هو لا شيء) (24).

يقول أحدهم: ( إن شعوب الشرق الإسلامي تحتاج - قبل أن تفهم الإسلام وقبل أن ينتظر منها إعزاز الإسلام - إلى جهود جبارة لرفع مستواها المادي والأدبي أي إلى تصحيح إنسانيتها أولاً .... والمرء يستحيل دابة يوم يموت فيه عقله المفكر وترتكس مشاعره اليقظة .. والدين في حقيقته ليس إلا إكمالاً لمشاعر الإنسان وتصحيحاً لمواهبه فهو عقل يحسن التفكير وعين تحسن النظر وأذن تحسن السمع ويد تحسن العمل) (25).

#### المبحث الثاني:

##### ضرورة حرية التفكير والتعبير للتنمية المجتمعية:

لقد تقرر لدينا أن بناء مجتمع متحضر وإحداث تنمية مجتمعية ونقله ونهضة حضارية لا بد أن يسبقه حراك فكري مؤسس لكل ذلك، وإن من لوازم ذلك النظر إلى ما سبقنا به أقوام ومجتمعات قد خطت في هذا السبيل خطى وسارت فيه أشواطاً ولكن ينبغي ألا نذهب بعيداً تماماً فحضارتنا العربية الإسلامية وما وصلت إليه من شأو بعيد في تطور العلوم والفنون المختلفة إنما كانت ثمرة طبيعية لفلسفة حياتية ، مستوحاة من خطاب القرآن الكريم ، الحاث والمحرض على النظر في الكون ، واكتشاف قوانينه ونواميسه وسننه، ورأينا ناتج ذلك جهوداً وإنجازات قام بها وعليها رجال الحضارة الإسلامية وروادها بما صبغهم به القرآن من ضرورة ووجوب التفكير والتدبر والاستفادة مما لدى الأمم من علوم وفنون متنوعة.

##### المطلب الأول:

الحرية أساس لا بد منه في الاعتقاد والإيمان وشرط للتنمية والعمران:

لم يكن في يوم من الأيام الإيمان بالله واعتقاد وحدانيته والتسليم لشرعه ودينه وليد أي نوع من الإكراه

فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ [ سورة الأحزاب: 72 ] ، وفي ضوء هذه الآية فإنه يتقرر أن الإكراه على فكرة ما يعني الوقوف أمام قضية الحرية ، ومن يقوم بالإكراه إنما يكون قد وقف في طريق الله ، الذي منحك الحرية ليسألك ويحاسبك. وقد عرض القرآن كل شبهة طرحت عليه وعلى الرسول ، ثم ناقشها ، وأجاب عنها دون أن يقول للناس اقتتلوا صاحبها ؛ لأنه يشكك في الدين؛ فإن من الأولى أن تخرج الأسئلة للعلن ، فتناقش لا أن تحبس وتتجمع ، ثم تتجه بصاحبها إلى النفاق.

#### المطلب الثاني:

**التنمية ومضامينها المصطلحية ومدلولاتها القرآنية**  
**التنمية لغة:** من مادة (ن م ا) يقال : نما ينمو نموا ونماء يعني زاد وكثر ونمى الشيء وأنماه إنماء إذا زاده ، ويقال نما نموا أي تراكم<sup>(27)</sup>، كما تأتي مادة (ن م ا) بمعنى رفع تقول : نميت الشيء على الشيء رفعته عليه ونميت النار تنمية إذا ألقيت عليها حطباً وذكيتها به<sup>(28)</sup>.

#### التنمية اصطلاحاً:

مرَّ مصطلح (التنمية) عبر الوقت بمتغيرات عدة ، ولعل أول من استعمل هذا المصطلح للدلالة على تطوير المجتمعات وتقديمها هو (بوجين ستيلي) حين اقترح خطة تنمية العالم سنة 1880م<sup>(29)</sup>. وبعد الحرب العالمية الثانية استعمل من قبل المفكرين فيما سمي بـ (التنمية الاقتصادية) ، ثم أطلق استعماله ليشمل تنمية الإنسان فيما عرف بـ (التنمية البشرية) ، وبعدها ظهرت المناداة بتعميمه ليشمل المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وفي أواسط الثمانينيات من القرن العشرين جاء تقرير اللجنة التي أنشأتها الأمم المتحدة ، والذي عرف بتقرير (بروندتلاند) لي طرح مصطلح (التنمية المستدامة) ،

والضغوط ، وإن إيماناً أو اعتقاداً يتأسس على شفا إرهاب فكري أو إكراهات من أي نوع لن يكون مآله إلا ردّة ونكوصاً يوماً ما ، فالقرآن يقرر حقيقة وأهمية حرية الاعتقاد والتفكير ويؤكد بها بكل وضوح حينما يقول : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [ سورة البقرة : 256 ] ، وقد وردت هذه الآية بأعم صيغ العموم في اللغة العربية وهي صيغة النكرة في سياق النهي والنفي ؛ منعاً لأي تضيق لدلالته فهو نص عام في حرية الاعتقاد<sup>(26)</sup>، ويخاطب الله - عز وجل - نبيه قائلاً : ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس: 99]، ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ﴾ [ سورة الأنعام : 135 ] ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [ سورة سبأ: 24]، وإذا كان القرآن يؤكد على حرية التفكير والاعتقاد في قضية مصيرية كتوحيد الله واختيار الديانة فمن باب أولى أن يقرر ويؤكد حرية التفكير وفتح الباب واسعاً أمام الناس لاختيار البدائل الأفضل والأحسن والأجدى بما يسهم في تطوير وضعهم المعيشي والحياتي وتنمية مجتمعاتهم بل ويشجع ذلك، ولم يكن الإحسان الذي ندب الله عباده إليه في كثير من المواضع في كتابه ودعا إليه النبي في جملة من الأحاديث لم يكن سوى أثر لقيمة الحرية ، التي تعد قيمة قرآنية دينية كما هي قيمة حياتية إنسانية.

إن الحرية هي الفكرة المركزية في الدين ، وعلى أساسها كلف الله الإنسان بعمارة الأرض ، وعلى أساسها دخل الإنسان اختبار الدنيا ؛ لينال النتيجة في الآخرة ، ولقد كانت لحظة فارقة حينما تحمل الإنسان هذه الأمانة على عاتقه بعد أن أبت السماوات والأرض أن يحملنها وأشفقن منها ؛ ذلك لأنها حرية لا تنتهي بالعدم وإنما هي حرية مسؤولة قال الله - تعالى - : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ

والتي يقصد بها شمول مجال أثرها للأجيال القادمة<sup>(30)</sup>.

ومع ذلك فإننا بحاجة لمعرفة ماهية هذا المصطلح ومدلوله ، وسنكتفي بإيراد تعريفين من بين تعريف كثيرة له:

عرفت التنمية ب: ( أنها عملية منظمة تستهدف تغيير الهياكل الأساسية للمجتمع المتخلف لإبدالها بأخرى جديدة تسمح بإطلاق التنمية وتوجيهها إلى خدمة الرقي الإنساني )<sup>(31)</sup>.

وعرفها آخر بقوله: ( إحداث مجموعة من التغيرات الجذرية في مجتمع معين بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر بمعدل يضمن النمو المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراد )<sup>(32)</sup>.

وبالتأمل في التعريفين نجد حضوراً قوياً لمعنى التنمية البشرية بمعناها الأعم الأشمل ، كما نلاحظ حضوراً لمعنى الاستدامة واشتراطه ، حتى يصح إطلاق وصف التنمية على توجه ومسلك ما ؛ فلا بد من استحضار هدف (خدمة الرقي الإنساني) بما (يضمن النمو المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراد) اليوم وغداً.

**المدلولات النصية لنظائر مصطلح (التنمية) في القرآن الكريم :**

تقدم معنا أن مادة (ن م ا) في اللغة تتضمن معنى الزيادة والكثرة ، وقد وصف الله في كتابه أربعة أمور جلية بالزيادة والكثرة هي:

- 1 - الإيمان بالله . 2 - الهداية للحق . 3 - العلم . 4 - الشكر .

وعلى هذه الأمور الأربعة مدار كل رقي إنساني وتنموي وفلاح ونجاح في الدنيا والآخرة .

وسنحاول تتبع بعض مدلولات هذا الوصف لهذه الأمور الأربعة في عدة مواضع من كتاب الله كالآتي:

**أولاً - الإيمان بالله :** قال الله -تعالى- : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا

لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [ سورة آل عمران : 173 ] ، وقال - سبحانه- : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [ سورة الأحزاب : 22 ] ، فالإيمان بالله هو القوة الباعثة على العمل الصالح دنيوياً كان أو آخروياً ، فبنمو الإيمان وزيادته يجني المؤمن ثمرة عاجلة في الدنيا متمثلة في الأمن المعيشي والسعة في الرزق والتمكين في الأرض والآيات المقررة لهذه الحقائق مبثوثة في القرآن الكريم .

**ثانياً - الهداية للحق :** قال الله - عز وجل - : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [ سورة محمد:17 ] والزيادة في هذا الموضع تكون بزيادة التفهيم والأدلة ، أو بورود الشرع بالأمر والنهي فيزيد المهيدي هدى لزيادة علم ذلك والإيمان به<sup>(33)</sup>.

**ثالثاً - العلم :** قال الله - عز وجل - : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [ سورة طه:114 ] ، والمعنى : قل يا محمد رب زدني علماً إلى علمي ، وقيل : ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة من شيء إلا في طلب العلم.

والعلم أساس التمدن والتحضر والتقدم ، وبالأزدياد منه والتمكن فيه تأسيس لتنمية حياتية مستدامة قائمة على هدى الوحي وضيائه .. وعناية القرآن بالعلم غير خافية وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

**رابعاً - الشكر :** قال -تعالى- : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [ سورة إبراهيم:7 ]، يقول القرطبي : (( والآية نص في أن الشكر سبب المزيد ))<sup>(34)</sup>، وهي حقيقة أدركها سليمان - عليه السلام - حين قال : ﴿ مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَ شْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [ سورة النمل:40 ] فمن استكثر من الشكر زاده الله خيراً

من سابقه ، وهل التنمية إلا زيادة كما ونوعاً في  
الإمكانات المعيشية؟

وإذا كان الله قد استخلف الإنسان في هذه الأرض كما  
قال - عز وجل-: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي  
جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [سورة البقرة:30] فإن من  
مقتضى الاستخلاف قيامه بواجب التطوير والإبداع  
والابتكار والتعمير ، وكل هذه معان مضمنة في  
مصطلح التنمية أو من لوازمه .

وبمقتضى وظيفة الاستخلاف والاستعمار للأرض  
التي كلف الله بها الإنسان فإننا نرى جملة من أئمتنا  
ينصون في كلامهم بما يفيد بيان حكم التنمية من  
منظور شرعي:

فهذا الجصاص يقول : ( قَوْلُهُ : ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾  
[سورة هود:61] يَعْنِي : أَمَرَكُمْ مِنْ عِمَارَتِهَا بِمَا  
تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ . وَفِيهِ الدَّلَالَةُ عَلَى وَجُوبِ عِمَارَةِ الْأَرْضِ  
لِلزَّرَاعَةِ ، وَالْغَرَسِ ، وَالْأَبْنِيَةِ <sup>(35)</sup> ، ويقول الزمخشري :  
( وأمركم بالعمارة، والعمارة متنوعة إلى واجب وندب  
ومباح ومكروه ) <sup>(36)</sup> ، ويقول ابن العربي : ( قَالَ بَعْضُ  
عُلَمَاءِ الشَّافِعِيَّةِ : الْإِسْتِعْمَارُ طَلَبُ الْعِمَارَةِ ، وَالطَّلَبُ  
الْمُطْلَقُ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْوُجُوبِ ) <sup>(37)</sup> ، ويقول الكيا  
الهراسي : ( قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ يدل على  
وجوب عمارة الأرض، فإن الاستعمار طلب العمارة،  
والطلب المطلق من الله تعالى للوجوب ) <sup>(38)</sup> .

ويقول الماوردي : ( وَالَّذِي يَلْزَمُ سُلْطَانَ الْأَمَّةِ مِنْ  
أُمُورِهَا سَبْعَةٌ أَشْيَاءَ : .. وَالثَّلَاثُ : عِمَارَةُ الْبُلْدَانِ  
بِاعْتِمَادِ مَصَالِحِهَا ، وَتَهْدِيبِ سُبُلِهَا وَمَسَالِكِهَا ) <sup>(39)</sup> .

#### المطلب الثالث:

حرية التفكير وتقبل الآخر أساس لتنمية مجتمعية  
في المنظور القرآني:

القرآن الكريم كتاب حياة ، وبما أنه كتاب حياة فليس  
من طبيعة الحياة التجزؤ والانحياز ، فالحديث عن

التنمية حديث عن الحياة بجوانبها كلها: الاقتصادية  
والسياسية والفكرية والاجتماعية ، وإن شمولية التنمية  
وتكاملها أبرز سمة من سمات التنمية في القرآن  
الكريم ، ويضاف إلى سمة الشمول سمات التكامل  
والدقة والوضوح ، ليمتاز المنهج القرآني بذلك في  
تناوله لتنمية الإنسان ومحيطه.

والقرآن في عرضه لمختلف جوانب التنمية دقيق كل  
الدقة ، واضح غاية الوضوح ، ومن ذلك مثلاً قوله -  
تعالى -: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا  
مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ \* وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ  
وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ \* لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا  
عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [سورة يس: 33-35]  
فالآيات أبرزت حدود عمل الله ولم تلغ عمل الإنسان  
وجهد وعلمه شأن بعض الفهوم الخاطئة لسنن الله  
في الكون؛ ذلك أن نتاج الإنسان من أسباب الازدهار  
المنشود ، وأن عمله من مقدمات التنمية الحقة فقوله  
- تعالى -: ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، أي: ليأكلوا مما  
عملته أيديهم وغرسه وحرثته.

#### المطلب الرابع:

##### عناصر التنمية في القرآن الكريم:

يمكن القول بأن عناصر التنمية وفق المنظور القرآني  
تتلخص في الآتي :

أولاً - الموارد : رأس المال والثروات الطبيعية والوقت.

ثانياً - الغيب : مشيئة الله وقدره وشكر نعمه.

ثالثاً - الإنسان : الإدارة والتخطيط والعلم والعمل  
وتوجيه الطاقة <sup>(40)</sup>.

وحتى لا يتشعب بنا الحديث كثيراً ، ولأن مقتضى  
الحال إنما هو تطلب أهمية ودور العلوم الإنسانية في  
التنمية المجتمعية وتلمسها فإنه سيتم التركيز على  
محورية الإنسان في التنمية ، وأن من لوازم ذلك  
تعزيز قيم الحرية في التعبير والتفكير ، وتعزيز قيمة

والتخطيط الاستراتيجي من أجل تنمية مستدامة وشاملة.

**القوم مجتمع يملك المال واليد العاملة لكنه مجتمع غير نام :**

والملاحظ أن القوم كانوا يملكون المال ، والدليل على ذلك قولهم : ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ [ الكهف: 94 ] وكانوا يملكون اليد العاملة ، ولذلك خاطبهم ذو القرنين بقوله: ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ [ الكهف: 95 ] ، ثم قال لهم عند بناء السد: ﴿ أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ [ الكهف: 96 ] ، ثم قال لهم : ﴿ أَتُونِي أَفْرَغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [ الكهف: 96 ] ، غير أنهم يفكرون إلى أهم أسباب التنمية على الإطلاق ، يفكرون إلى: تمكين الله لهم، والعلم والتكنولوجيا ، والتخطيط ، ووضوح الغاية والأهداف.

وما أشبه الليلة بالبارحة! فإن قراءة لواقع مجتمعاتنا في هذا العصر ، وتخلّفها عن سلم الحضارة وواقع الغرب وتمكنه ، تجعلنا نفهم الواقع فهماً عميقاً ، ويدفعنا للوقوف على المنهج القرآني في بناء تنمية شاملة ، أساسها الإنسان الكفء الفاعل حتى وإن كان غير مالك للمادة والوسائل ، وهذا ما نلاحظه في المقارنة التي عقدها ذو القرنين بين رأس المال والتمكين حينما قال: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ [ الكهف: 95 ] ، التمكين الذي يعني الروح الإيمانية، والقدرة العلمية ، والتمكين التكنولوجي والتخطيط والفكر الإداري .

**حرية التفكير وتقبل الرأي الآخر ضرورة للتنمية :**

إن مما يظهر في مجريات حديث ذي القرنين مع القوم الذين ﴿ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ تلك الشفافية والاعتراف بالمشكلة والإقرار باستثناء الضعف وما تبعه بعد من البحث الجاد عن حل ومخرج من تسلط يأجوج ومأجوج عليهم ، لقد كان القوم صريحين غاية الصراحة مع أنفسهم ومع من يتأملون منه نصحاً

الثقافة ، وتقبل ما عند الآخر من خير ومصلحة ونفع ، وسنستجلي هذه المقاصد من خلال التوقف ملياً مع قصة (ذي القرنين) في سورة الكهف ، وقصة (سليمان) في سورة النمل ، ونستلهم ما يمكن استلهامه من مبادئ وقيم تنموية بمنظور قرآني :

**أولاً - عناصر التنمية في قصة ذي القرنين :**

قال الله - عز وجل-: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا \* حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا \* قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا \* قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا \* أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أَفْرَغَ عَلَيْهِ قِطْرًا \* فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ [ سورة الكهف : 92-97 ].

لما بلغ ذو القرنين ﴿ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾ أي بين الجبلين وجد قوماً ﴿ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ ، وهو الذي مكّنه الله وآتاه من كل شيء سبباً ، وبالمقارنة بين ذي القرنين وهؤلاء القوم نجد هؤلاء القوم ينتمون إلى مجتمع غير نام ، فأما ذو القرنين فهو ذلك الرجل العظيم الذي أتى من مجتمع نام ، فالقوم متصفون بصفات الضعف والوهن والتخلف والجهل ، ولم يقدروا على رد يأجوج ومأجوج ، الذين تسلطوا عليهم وأفسدوا أرضهم ، وذو القرنين قد بلغ ذروة التنمية ، فمكّن الله له في الأرض ، وآتاه من كل شيء سبباً ، ويسر له أسباب الفتح والنصر والبناء والعمران ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ ، أي: سخر ما وهب له من النعم في خدمة غاياته وأهدافه ولم يضيع ذلك هباءً ، ومن المقرر في علم الإدارة أن توجيه الطاقة وضبط الغاية وتحديد الأهداف هي أهم مراحل التخطيط قصير المدى



هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ» [سورة النمل: 38-40].

بتأملنا في سياق ما قصه الله علينا من شأن سليمان في حوار مع من حوله حيث يقول مخاطباً إياهم: «أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشيها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ» نجد أن سليمان لم يوسع فقط دائرة الحريات وإبداء الرأي، أو التعبير عن الفكرة، بل دعا إلى ذلك، وحرص عليه من حوله، هذا وهو نبي الله الموحى إليه الذي لبي الله له طلبه حينما دعا بقوله: «قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» [سورة ص: 35] [ص: 35]، ومع ذلك يصل بمستوى التنمية في محيطه إلى أقصى غاياته، ويتبنى ويدعو لتقديم الأفكار والبرامج والحلول، وفي هذا تأكيد وتعزيز لكرامة رعيته من إنس وجان، وبمقتضى ذلك نجد الحماسة والتنافس لتحقيق المصالح يسري في المخاطبين، فينبري كل من لديه مشروع أو فكرة أو مقترح ليقدم ما عنده مؤملاً أن يجري الله النفع وتحقيق المصلحة على يديه «قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ» [النمل: 39]، ولما كانت الحرية وتقبل الرأي نهجاً مسلوكاً متبعاً في سياسة سليمان وحكمه إذ بأخر يتقدم بفكرة ومقترح جديد «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» ولم يكن ليحدث هذا التنافس والمبادرة لتقديم الحلول والإبداع في إيجاد المخارج لولا رعاية سليمان للفكر وأهله.

هذان أنموذجان قرآنيان من نماذج كثيرة تؤسس لأهمية قيمة حرية التفكير والتعبير وضرورتها لإحداث نهضة مجتمعية، ونقلة تنموية واسعة شاملة، ولا يزال باب التدبر والتأمل في كتاب الله مفتوحاً

وانتصاراً لهم، فالقضية لا تحتل التخفي بها وكتمانها وهي أجلي من أن يتهامسوا بها، ولذلك قالوا بكل وضوح: «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا»، إنه الانطلاق والتحرر وعدم التجسس من مواجهة المشكل والسعي لحله، وقد ساعد هذا التوجه نحو الحرية والبحث عن خيارات حقيقية لحل المشكل ذي القرنين ليقدم مبادرته وفكرته، لتكون علاجاً لهذا الوضع المتأزم، ففعل الطاقات واستغل الإمكانيات المتاحة واستثمر أجواء الثقة المتبادلة والتقبل للرأي النافع في وضع خطة كانت المعبر لأولئك القوم إلى حياة مستقرة نامية آمنة «قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا» [الكهف: 95]. ولولا بقية من الروح المتحررة الباحثة عن الحق والمخرج من المشكل لدى هؤلاء القوم ولولا اطمئنان ذي القرنين لتقبلهم الرأي النافع المحقق للمصلحة والرافع للضرر والظلم الواقع بهم لولاه لما قدم لهم رأياً، ولا أسدى لهم نصحاً. **ثانياً - عناصر التنمية في قصة سليمان - عليه السلام:**

لقد وصل المجتمع السليمانى من التطور الحضاري والنهوض التنموي في جميع المجالات مبلغاً عظيماً، وأهم سبب لذلك ما علمه الله نبيه سليمان كما قال سبحانه: «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا» [سورة الأنبياء: 79]، وقال - عز وجل - : «وَوَرِّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» [سورة النمل: 16].

**سليمان وتبني خيار حرية إبداء الرأي :**

قال الله - عز وجل - : «قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشيها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ \* قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ \* قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ

الأخذ بها واستحضارها عند توصيف أهداف ومضامين مقررات العلوم الإنسانية وصياغتها ، وعند التخطيط المدروس لتقديمها للدارسين .

4- على ما وصلت إليه حضارة الغرب مؤخرًا من تقدم ملحوظ إلا أنه تقدم يفتقد للتوازن مع مقومات الحياة السوية ، وتعزيز قيم الإنسانية ، التي تقوم عليها الحياة ، وتأخذ وضعها الطبيعي ، وينبغي للعلوم الإنسانية أن تردم الفجوة والهوة بين التطور المادي والتقني الهائل وتلاشي القيم وحقائق الحياة الإنسانية، فأهم وظيفة للعلوم الإنسانية في هذه المرحلة إعادة التوازن الحضاري والمحافظة عليه.

5- لا نرى مبررًا لهذا التحفظ وتغليب الصمت في الوسط الأكاديمي للعلوم الإنسانية وتغيب الحوار والمطالبة الفكرية الجادة المسؤولة ، والتفكير بصوت مسموع بين منتسبي تخصصات شعب العلوم الإنسانية إزاء ما يروونه ويعيشونه وتعيشه مجتمعاتهم من تعثر مستمر في مسيرتها التنموية. كما أننا لا نملك تفسيرًا مقنعًا لتغيب العلوم الإنسانية والمؤسسات الأكاديمية المتخصصة عن دراستها لواقعها.

6- تؤسس الرؤية القرآنية وتؤكد على أهمية قيمة حرية التفكير والتعبير وضرورتها لإحداث نهضة مجتمعية ونقلة تنموية واسعة شاملة ، وهذا ما ظهر جليًا عند الوقوف مع قصة سيدنا سليمان في سورة النمل وقصة ذي القرنين في سورة الكهف.

كما يحث القرآن الكريم على ضرورة تعزيز حق حرية التفكير النقدي الحر ويؤكد على حرية التعبير عن الرأي بما يضمن كرامة الإنسان وبما يحقق بعد من استجلاء الحقائق ومن ثم تبينها والتبشير بها وهذا ما برز لدى وقفنا في ثنايا البحث مع آية الموعظة ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُعْطِكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ [سورة سبأ: 46].

لاستجلاء منهجية القرآن في التأصيل للفعل التنموي والبناء الحضاري، لكن مما يجب التأكيد عليه أن ((مقدرة الإنسان على أن يكون رائدا للتقدم .. وأن يفهم ماهية الحضارة وأن يعمل لها تتوقف على كونه مفكرا وكونه حرا؛ إذ ينبغي أن يكون مفكرا ليكون قادرا على فهم مثله وتصويرها ، وينبغي أن يكون حرا ليكون في وضع يتهيأ له منه أن يدفع بمثله في الحياة .. فالحضارة تفترض أناسا أحرارا لأن بالأحرار وحدهم تتحقق الحضارة وتصنع لكن من الحزن أن الحرية والقدرة على التفكير كليهما تضاعل اليوم عند الناس)) (41).

#### الخاتمة:

#### أولاً- النتائج:

1- إن حق الحرية من أهم حقوق الإنسان وقد صار هذا الحق عند الشعوب المتقدمة ثقافة راسخة بعد قرون من فلسفته وتقنيته حتى صارت حدوده واضحة إلى حد كبير عند تلك الشعوب فبعد أن ناضلت تلك الشعوب لانتزاع حق الحرية من المستبدين حولته إلى قوانين يحتكم إليها الجميع، وتعاليم الإسلام تكلف المنتمين إليه بقيادة أنفسهم وبقية الآخرين إلى واحة الحرية والكرامة والعزة قال الله - عز وجل:- ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران: 110].

2- إن العلوم الإنسانية هي الحارس الذي يجب أن يبقى متيقظاً في ظل دوامات ودورات متوالية متسارعة من التغير المطر لصالح العلوم التجريبية.. ولا بد أن يتوازي التطور وتحسن الأداء في المساقين التجريبي التطبيقي والإنساني الاجتماعي ؛ إذ الاكتفاء بتطوير أداء العلوم المادية التطبيقية ومنتجاتها ومخرجاتها من شأنه أن يخلف عظم الخلل في توازن الحياة.

3- تعد حرية التفكير والتعبير ضرورة لا بد من

**ثانياً- التوصيات:**

المجتمعي والذي يعد منتجاً وصانعاً لدورات الصراع والاحتراب وعائقاً أمام المجتمع من التقدم والرقى.

3- كما أنه لا بد أن تتبنى الجامعة وشعب تخصصاتها الإنسانية دراسة جذور الاحتقان المجتمعي وعوامل تكريسه لتعارضه كلياً مع خيار حرية التفكير والتعبير .. ذلكم الاحتقان المجتمعي الذي يستحيل مع مرور الوقت إلى دورات صراع مادي ومسلح، وبعد دراسة جذوره ينبغي أن تسهم في تقديم المخارج والمعالجات الناجعة الكفيلة بمعالجة هذا الوباء المقيد لحركة المجتمع وتطوره واستقراره.

1- ينبغي استحضار خيار حرية التفكير والتعبير وتبنيه ؛ لإيجاد حراك فكري نهضوي نشط وبلورته في أروقة المؤسسات الأكاديمية والبحثية كما يتوجب أن يكون هذا الخيار موجهاً للمسيرة التنموية لمجتمعاتها وبيئاتها المحيطة.

2- لا بد من قيام المؤسسات الأكاديمية للعلوم الإنسانية بالدراسات والأبحاث للمشكلات والمعضلات الاجتماعية والاختلالات في المكون الفكري والفلسفي

## الهوامش:

- (1) في هذا الإطلاق شيء من التجوز وربما يمكن اعتباره وصفا لمسيرة العلوم التطبيقية مقارنة بالعلوم الإنسانية في العالم المتقدم فالأولى تشهد نقلات نوعية ملحوظة، أما بالنسبة للدول النامية فالتأخر ملحوظ وبين في كلا الشقين: العلوم الإنسانية والتطبيقية.
  - (2) فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيستر، ترجمة د. عبدالرحمن بدوي، مراجعة د. زكي نجيب محمود، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ص 13.
  - (3) روح الحضارة الإسلامية لمحمد الفاضل بن عاشور، نهضة مصر للطباعة ط1، 2003م ص 10، وينظر: ص 14، 17.
  - (4) نفس المصدر ص 26.
  - (5) مناهج العلوم الإسلامية والمتغيرات العالمية أ. د. قطب مصطفى سانو (سلسلة كتاب الأمة الصادر عن إدارة البحوث والدراسات الإسلامية قطر العدد 160 ربيع أول 1435 هـ) ص 150.
  - (6) فلسفة الحضارة لأشفيستر 25.
  - (7) مناهج العلوم الإسلامية والمتغيرات العالمية أ. د. قطب مصطفى سانو ص 152.
  - (8) ينظر: المصدر السابق ص 41.
  - (9) دور التربية الفكرية في الوحدة المذهبية للأمة، عبدالمجيد النجار ص 21.
  - (10) ينظر: مناهج العلوم الإسلامية والمتغيرات العالمية أ. د. قطب مصطفى سانو ص 138.
  - (11) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي، طبعة مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر ص 32.
  - (12) نفس المصدر 116.
  - (13) المصدر السابق 190.
  - (14) نفس المصدر 202.
  - (15) مناهج العلوم الإسلامية والمتغيرات العالمية أ. د. قطب مصطفى سانو ص 11.
  - (16) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، موقع الجامعة على الانترنت <http://www.iu.eda.sa> 243/11.
  - (17) (التفكير الناقد) (النقد): هو قدرة الفرد على إبداء الرأي المؤيد أو المعارض في المواقف المختلفة، مع إبداء الحجج والأدلة المقتعة لكل رأي. وقد عقد أول مؤتمر عالمي للتفكير النقدي والإصلاح التعليمي في جامعة ولاية سونوما في كاليفورنيا عام 1981م، وبقليل من التدبر في كتاب الله نجده يؤسس للتفكير النقدي ويدعو إليه بقوة. ينظر: المهارات الأكاديمية، من إصدارات الجامعة الالكترونية السعودية ط1 2012م ص 163، التفكير النقدي مندخل في طبيعة الحاجة وأنواعها، عمرو صالح يس، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ط1 2015م ص 20، تكوين المفكر.. خطوات عملية د. عبدالكريم بكار ط1 القاهرة دار السلام للطباعة والنشر 2010م ص 77.
  - (18) مناهج العلوم الإسلامية والمتغيرات العالمية أ. د. قطب مصطفى سانو ص 145.
  - (19) ينظر: البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن
- حيان أنير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت 561/8، الأساس في التفسير، لسعيد حوى، طبعة دار السلام- القاهرة 4547/8.
- الطبعة: السادسة، 1424 هـ.
- (20) ينظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، طبعة الدار التونسية للنشر تونس 1984 هـ 231/22.
- (21) البحر المحيط لأبي حيان 562/8.
- (22) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 233/22.
- (23) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ الندوي 113، وينظر: روح الحضارة الإسلامية لمحمد الفاضل بن عاشور ص 11.
- (24) مناهج العلوم الإسلامية والمتغيرات العالمية أ. د. قطب مصطفى سانو ص 11.
- (25) الإسلام والأوضاع الاقتصادية، محمد الغزالي ط5 - القاهرة ص 9.
- (26) ينظر: الأزمة الدستورية في الحضارة الإسلامية، محمد المختار الشنقيطي، ط1 منتدى العلاقات العربية والدولية - قطر 2018م ص 245.
- (27) ينظر: لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، دار صادر - بيروت الطبعة الثالثة 1414 هـ 343/15، العين، للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، طبعة دار ومكتبة الهلال 384/8.
- (28) ينظر: لسان العرب لابن منظور 343/15، الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الرابعة 1407 هـ 1987 م 6/ 2515.
- (29) ينظر: تطور مفهوم التنمية السياسية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية، رياض حموش، معهد الميثاق 2009م [www.almethag.info](http://www.almethag.info)
- (30) ينظر: التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسؤولية عن حماية البيئة، عبدالله جمعان الغامدي، موقع الاقتصاد والتمويل الإسلامي <http://iefpelia.com>
- (31) جدول حول التقدم، إبراهيم دسوقي، دار المركز، دار البيضاء 1395 هـ ص 8.
- (32) تساؤلات حول اقتصاديات التعليم وقضايا التنمية في الوطن العربي، حامد القرنشاوي، الكويت 1978م ص 120.
- (33) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت 115/5، البحر المحيط لأبي حيان 79/8.
- (34) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيشدار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384 هـ 1964م 343/9.
- (35) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي،

- يس، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ط1 2015م.
- 13- تكوين المفكر.. خطوات عملية د. عبد الكريم بكار ط1 القاهرة دار السلام للطباعة والنشر 2010م.
- 14- التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسؤولية عن حماية البيئة، عبدالله جمعان الغامدي، موقع الاقتصاد والتمويل الإسلامي <http://iefpelia.com>
- 15- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيشدار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.
- 16- جدول حول التقدم، إبراهيم دسوقي، دار المركز، الدار البيضاء 1395هـ.
- 17- حراء، مجلة علمية ثقافية فصلية، العدد الرابع، السنة الأولى 2006م.
- 18- دور التربية الفكرية في الوحدة المذهبية للأمة، عبدالمجيد النجار.
- 19- روح الحضارة الإسلامية لمحمد الفاضل بن عاشور، نهضة مصر للطباعة ط1، 2003م.
- 20 - الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
- 21 - العين، للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، طبعة دار ومكتبة الهلال.
- 22 - فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيستر، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، مراجعة د. زكي نجيب محمود، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- 23 - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري) لمحمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة 1407 هـ.
- 24 - لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، دار صادر - بيروت الطبعة الثالثة.
- 25 - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي، طبعة مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر.
- 26 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 27- مناهج العلوم الإسلامية والمتغيرات العالمية أ.د. قطب مصطفى سانو (سلسلة كتاب الأمة الصادر عن إدارة البحوث والدراسات الإسلامية قطر العدد 160 ربيع أول 1435هـ).
- 28- المهارات الأكاديمية، من إصدارات الجامعة الإلكترونية السعودية ط1 2012م.
- 29- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، موقع الجامعة على الانترنت <http://www.iu.eda.sa>.
- 30- موقع معهد الميثاق 2009م [www.almethag.info](http://www.almethag.info).

- تحقق: محمد صادق القحايي عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي - بيروت، طبعة 1405 هـ (7/ 195).
- (36) تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل لمحمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة 1407 هـ (2/ 407).
- (37) أحكام القرآن لمحمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان (3/ 18).
- (38) أحكام القرآن لعلي بن محمد بن علي، المعروف بالكنيا الهراسي الشافعي تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثانية 1405 هـ (3/ 86).
- (39) أدب الدنيا والدين لعلي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة (ص: 167).
- (40) مجلة حراء، العدد الرابع، السنة الأولى 2006م ص 34.
- (41) فلسفة الحضارة 22.

## المراجع:

- 1- أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، تحقق: محمد صادق القحايي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي - بيروت، طبعة 1405 هـ.
- 2- أحكام القرآن لمحمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 3 - أحكام القرآن لعلي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكنيا الهراسي الشافعي تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثانية 1405 هـ.
- 4- أدب الدنيا والدين لعلي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة.
- 5- الأزمة الدستورية في الحضارة الإسلامية، محمد المختار الشنقيطي، ط1 منتدى العلاقات العربية والدولية - قطر 2018م.
- 6- الأساس في التفسير، سعيد حوى، طبعة دار السلام - القاهرة.
- 7- الإسلام والأوضاع الاقتصادية، محمد الغزالي ط5 - القاهرة.
- 8- البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت.
- 9- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، طبعة الدار التونسية للنشر - تونس 1984 هـ.
- 10- تساؤلات حول اقتصاديات التعليم وقضايا التنمية في الوطن العربي، حامد القرينشاي، الكويت 1978م.
- 11 - تفسير القرطبي لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.
- 12- التفكير النقدي مدخل في طبيعة المحاجة وأنواعها، عمرو صالح

**Freedom of thinking and expression as a base for a good academic performance  
and a community renaissance: A Quranic Perspective  
( A vision of Holy Quran )**

**Saeed Omer Bin Dehbaj**

**Abstract**

This research mainly aims to show the significance of the freedom of thinking and the freedom of expression for developing the humanities and their research methodology .The research seeks to show the Holy Quran vision towards the freedom of thinking and expression..This research also highlight the elements of human development fro an Islamic perspective. The research findings are as follows.Freedom is one of the most important human rights and Islam teaches its followers how to lead themselves and the others to a world with freedom Freedom of thinking and freedom of expression should be taken into consideration in the specification of the courses of human sciences The Islamic vision confirms the importance and need for freedom of thinking and freedom of expression